الأستاذ كاظم

كان المقدم حامد أسبق المدعويين حضورا إلى منزل الأستاذ كاظم.. ولم يكـد يدخل الصالة الدافئة الأنيقة، المفروشة بأحدث طراز حتى نهض الأستاذ كاظم ونزع من عينيه نظارتيه المقعرتين، ورمى الصحيفة جانبا وأقبل هاشـا باشـا على صهره وبنته "سلوى" التي بدت أكثر نحولا وأشد شحوبا من عهدها وهي فتاة.. ومع ذلك فلقد انسجم قوامها الرشيق مع قامتها القصيرة فـأوهم النـاظر إليها أنها أطول من حقيقتها..

قبلت سلوى يد والدها ثم انفلتت إلى الغرف الداخلية لتشاهد أمها.. وبقي المقدم حامد في الصالة مع الأستاذ كاظم واخذ يجيل عينيه بالتماثيل التي أحـضرت حديثا من "مدينة ماري الأثرية" وتقدم من أحدها وراح يتفحصها بعناية وهـو معجب بالفن السوري الأصيل.. ووقف الأستاذ كاظم يشرح له بعض التفاصيل عن تاريخها وعما ترمز إليه، وعن دقة صنعها، وحيوية التعبير في ملامحهـا وحركتها.. وبالرغم من الضجة الكبيرة التي قامت في أوساط الحـزب لهـذه الآثار التي اكتشفت، واعتبارها موضوع فخر كبير يحتكـره الحـزب، إلا أن الأستاذ كاظم لم يكن يتحدث بحماس كبير، فما كان في أعماقه يـؤمن بـالفن بأكثر مما كان يؤمن بالأدب والشعر الذي لا يزال يحفظ أبيات تعلمهـا وهـو

طالب، وكثيرا ما يستشهد بها في حديثه ليوهم السامع أن لـه تـذوقا شـعريا أصيلا وعنده ثقافة أدبية وفنية..

كان الأستاذ كاظم طويلا نحيلا مقوس الظهر وله كتف أعلى من كتف بـسبب عملية أجريت له إثر مشاجرة في صدر شبابه أصيب بها في كتفـه.. شـعره أسود لامع لا ينسجم مع وجهه الكثير التجاعيد بالرغم أنه لم يبلـغ الخمـسين بعد.. ووجنتاه مستطيلتان غائرتان حفرت فيهما أخاديد طولية تعمقـان حـين يضحك وحين ينفرج الفم في حالة الغضب ويتأخر الفك الـسفلي عـن الفـك العلوي في فتحة تشبه فتحة فم النمر.. وله شاربان صغيران كعمودين تحـت أنفه الكبير..

وبالرغم من ملامحه الشرسة وطبيعته المشاكسة كان المقربون إليه يعلمون أنه أطيب قلبا وأكثر أريحية مما يبدو، وخصوصا حين يجد من الناس من يستطيع أن يرضي نزعة "الغرور" عنده.. فهو في تصرفاته جميعا يقنع نفسه ويحـاول أن يبدو أكثر ذكاء وأوسع اطلاعا وأجرأ موقفا من حقيقته..

قال للمقدم حامد حين استقر بهما المجلس:

- يبدو أن الصغيرة ليست على ما يرام..

وتململ المقدم حامد وقال:

- أنت تعلم.. ان علي أن أتركها أكثر الوقت وهذا ما يزعجها.. أقـول لهـا اقرئي.. املئي وقتك بالمطالعة..

وضحك الأستاذ كاظم وقال وعيناه ترمشان رمشا عصبيا:

- إنها كوالدها ليس عندها صبر ولا جلد على هذه الترهات.. إنني نفسي لـم أقرأ كتابا منذ عشرين عاما.. هل تريد الحقيقة؟.. ليس هناك ما يقرأ سوى فولتير وجان جاك روسو.. وليس بعد هذين العبقريين سوى كـل تفاهـة وغباء..

وكان الأستاذ كاظم حريصا على أن ينطق اسم المؤلفين بكثير مـن التبجيـل والوقار ليوهم السامع أنه قد درسهما دراسة مستفيضة عميقة بالرغم أن كل ما يعرفه عنهما هو مطالعة سطحية في صدر شبابه تكاد تذوب بفعل السنين..

وأردف الأستاذ كاظم قائلا:

- إنني لا اقرأ الآن سوى الصحف اليومية ولم أكن في حيـاتي مـن هـواة المطالعة وحين كنت طالبا كنت بطبيعة الحال أتهرب من الدرس..

وضحك الأستاذ كاظم وهو يذكر أحد مقالب تلمذته:

- لقد حاول أحد أساتذتي أن يسقطني في الإمتحان وهددني بذلك فما كان مني إلا أن كمنت له أنا وبعض من أصدقائي في الليل، وضربناه علقة حاميـة كانت درسا بليغا له ولباقي الأساتذة.. وجعلت أستاذا آخر يـصاب بقـواه

العقلية لكثرة ما دبرت له من مقالب شيطانية وجعلته سـخرية المدرسـة.. دهنت كرسيه مرة بالصمغ وتركته يلصق به.. وفي مرة أخرى ربطت له طربوشه بدوبارة كنت قد علقتها بالسقف وأمسكت بطرف الخيط وأنا كامن في مقعدي في آخر الغرفة، ولم ألبث ان سحبت الخـيط حـين أحرجـت بالأسئلة في أحد الامتحانات الشفهية فطار طربوش الأستاذ وعلق بالـسقف بين ضحك الطلبة وتصفيقهم.. وكان الأستاذ قصير النظر يؤمن بالعفاريت فلم يدرك اللعبة وظن الشياطين تعابثه!..

وضحك المقدم حامد ضحكته المخنوقة، واسترسل الأستاذ كاظم وهو لا يـزال يهتز من الضحك:

- لو أردت أن أسرد عليك المقالب جميعها لما انتهيت فـي شـهر.. أرى أن الرئيس "سرحان" يركب رأسه هذه الأيام ويقوم بتدبيرات خطيرة.. لمـاذا يصر على اتباع أسلوب الاغتيالات؟.. إنه في الواقع لن يأتي بأية نتيجـة وربما أوقع الحزب في ورطة لا يتخلص منها.. إنني أومن بالقتـل ولكـن دون إهراق دماء.. شوه سمعة خصمك.. حطمه بالإشاعات والمقالب، أفسد ضمائر معاونيه ومن يعتمد عليهم بالرشوة وبإثارة غرائـزهم.. طمعهـم، خوفهم، واجعلهم ينفضون من حوله.. أوغر قلوب النـاس بالحقـد عليـه،

ودعهم يشعرون أنه هو الذي يعرقل كل تقدم وإصلاح.. هناك ألف وسـيلة لقتل إنسان.. ولكن سفك دمه يجعله بطلا..

لم يرتح المقدم حامد لهذا القول ولكنه آثر أن لا يعلق بشيء فتشاغل بإشـعال لفافة.. وأدرك الأستاذ كاظم بأن صهره يفلت من يده ويتبع الرجل الأقوى في الحزب وتنهد بأسى وهو يهمس لنفسه:

- جئنا نصطاده فاصطادنا..

كان الأستاذ كاظم يطمع في رئاسة الحزب واستغل طموح المقدم حامد ليكـون له سندا وقوة أمام العميد، ولكنه أخذ يشعر في المدة الأخيرة بان صهره يـدير له ظهره ويخضع خضوعا أعمى لغريمه ويجند سياسة العنف التي يدعو إليها ويشاركه في تنفيذها.. وبالرغم أن المقدم حامد قد كتم عنه مـا قـد تـم مـن خطوات لتنفيذ جريمة اغتيال العقيد عزيز إلا أنه كان يعلم تفاصيلها.. ولم يكن يهمه وقف الجريمة بقدر ما كان يهمه أن ينال مكسبا حزبيا بمعارضة سياسـة خصمه.. هدد بالاستقالة من النيابة والحزب حين عرض عليـه الأمـر لأول مرة.. ولكنه لم ينفذ تهديده وبقي ساكنا حين وجد الأغلبية تؤيد العنف وتعتبره السلاح الوحيد الفعال للوصول إلى الحكم بأقصر وقت، ولم يبق من معارضته سوى غمغمات متذمرة يفرغها في رؤوس المتمردين.. كان يقول لهم:

- هذا انحراف عن مبادئنا وسندفع ثمنه!..

ولكنه مع ذلك لم يقف دون الانحراف ولم يجعل من معارضته معركة حاميـة الوطيس..

* * *